هـذا حديث ثابت عـن النبى صلى اللـه عليـه وسلم، وقـد تلقتـه الأمة بالقبول وآمنت بمضمون ماجاء فيه .

وهـو معجزة من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم الـذى لاينطق عن الهوى {إن هو إلا وحى يوحى}(١).

وقد طعن أهل البدع والضلال قديما فى صحته بحجـة أنه مخالف للعقل والـواقع ، وأثاروا الشبـه مـن حولـه فـانبرى للرد عليهـم وكشـف شبههـم ودحضهـا علماء أجلاء فواجهـوهم بالحجج الدامغة والأدلـة البينـة ، فأزالوا تلك الشبه وبينوا فسادها .

مـن أولئك العلماء الأفاضـل الإمام ابن قتيبة الـدينورى رحمه الله ، فقـد ذكـر فى كتـابه "تأويل مختلـف الحديث" أنه حديث صحيـح وأنه روى بألفاظ ، ثم قال :

"إن مـن حمـل أمـر الدين على مـاشاهد ، فجعـل البهيمـة لاتقـول ، والطـائر لايسبح ... والذباب لايعلم مـوضع السم ومـوضع الشفاء ، واعترض على مـاجاء فى الحديث ، مما لايفهمه ... فإنه منسلخ مـن الإسلام ، معطل ... مخالـف لما جاء به الرسول صلى اللـه عليه وسلم ، ولما درج عليـه الخيـار من صحابته والتابعون .

ومـن كذب ببعض ماجاء به رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ، كـان كمـن كذب به كله ... وماعلمـت أحدا ينكر هذا إلا قـوما من الدهرية(٢)، وقد اتبعهم على ذلك قوم من أهل الكلام والجهمية"(٣).

ومن أولئك أيضا الإمام الطحاوى رحمه الله فى كتابه "مشكل الآثار" فقال بعد ذكره للحديث ومن رواه من الصحابة رضى الله عنهم :

---

(١) سورة النجم : آية ٤

(٢) قـال فى اللسان : "ورجل دهرى : ملحـد لايؤمن بالآخرة ، يقـول ببقـاء الدهر" . لسان العرب ٤/٢٩٣ .

(٣) ص٢٢٩ .

"قال قائل من أهل الجهل بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبوجوهها : وهل للذباب من اختيار حتى يقدم أحد جناحيه لمعنى فيه ويؤخر الآخر لمعنى فيه خلاف ذلك المعنى ؟

فكان جوابنا فى ذلك له بتوفيق الله عز وجل وعونه أنه لو قرأ كتاب الله عز وجل قراءة متفهم لما يقرأ منه لوجد فيه مايدل على صدق قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا وهو قوله عز وجل : {وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس}(١)وكان وحى الله إليها هو إلهامه إياها أن تفعل ماأمرها به ... فمثل ذلك الذباب ألهمه عز وجل ماألهمه مما يكون سبباً لإتيانه لما أراده منه من غمس أحد جناحيه فيمايقع فيه مما فيه الداء والتوقى بجناحه الآخر الذى فيه الشفاء"(٢).

وجاء المُحْدَثُون فطعنوا فى هذا الحديث كما طعن فيه أسلافهم أهل الابتداع من قبل ، ولم يتزجروا بردود العلماء السابقين ، فزادوا شبه أولئك شبهاً أخرى انتجتها عقولهم التى جهلت حرمة النصوص وران عليها ظلام قاتم فلم تستوعب ولم تع معانى تلك النصوص فسارعت إلى الإنكار والرد والطعن كما هو ديدنها ، ومنهجها بكل نص جهلت معناه .

---

(١) سورة النحل : الآيات ٦٨،٦٩

(٢) ٤/٢٨٣-٢٨٤ .

وهـذا ملخـص مـاسبق مـن عـرض لشبـه هـؤلاء المحْـدَثين حول هـذا الحديث :

(١) أخرجه البخـارى ، ولايمنعـه ذلك من التماس علة فى رجالـه تمنـع من صحته ، والعلة هى :

(أ) انفرد به ابن حنين . ثم طعن فيه بأوجه .

(ب) من رواية أبى هريرة وقد ردوا له أحاديث كثيرة .

(٢) إنه حديث آحاد يفيـد الظـن ، فلاإشكـال فى رده ، وهـو غـريب عن التشـريع لأنه ينافى قاعدة تحريم الضار ، واجتنـاب النجاسة ، وغريب عن الرأى لأنه يفرق بين جناحى الذباب ، فيدعـى أن أحدهما به سم ضار ، والآخر ترياق نافع .

(٣) أثبت العلم بطلانه ، لأن العلم يقطع بمضار الذباب .

(٤) موضوع متنه ليس من عقائد الإسلام ولامن عباداته ، ولامن شرائعه ، ولاالتزم المسلمـون العمل به ، بل لم يعمـل به أحد منهـم لأنه لادخل له فى التشريع ، وإنما هـو فى أمـر مـن أمـور الـدنيا كحـديث "تأبير النخل" ، وبالتالى من ارتاب فيه لم يضع من دينه شيئاً .

(٥) تصحيحـه مـن المطاعن التى تنفـر عن الإسلام ، وتكـون سبباً فى ردة بعض ضعفاء الإيمان ، ويفتح على الدين شبهة يستغلها أعداء الإسلام .

(٦) البحـث فيـه عقيم ، لايجب أن يشغـل النـاس به ، وقـد وصلـوا إلى مخترعـات ومكتشفـات من العلـوم . ولـذا يجب ترك البحـث فيـه إلى ماوصل إليه العلم من أحكام لاتنقض ولاترد .

ويجاب على هذه الشبه بما يلى :

(١) أولاً : لم ينفرد البخارى رحمه الله بإخراج هذا الحديث ، كما أن أبا هريرة لم ينفرد بروايته عـن النبى صلى اللـه عليـه وسلم ، وعبيـد بن حنين لم ينفرد بروايته عن أبى هريرة أيضاً .

فقد أخرجه البخارى وأبو داود وابن ماجه والدارمـى والبيهقى وابن خزيمة وأحمـد وابن حبـان والبغـوى وابن الجارود مـن حديث أبى هـريرة رضى الله عنه .